التقرير اليومي

2007/7/4

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

برنامج سياسي للخروج من العراق

بقلم هنري كيسينجر؛ IHT؛ 2007/7/2

تقترب الحرب في العراق من الوصول الى نوع من الذروة فرضتها على نفسها. فالتنور والتحرر الشعبي من الأوهام أمر واضح وملموس. وسوف يضغط الكونغرس بالتأكيد لإنسحاب متسارع، إن لم يكن كامل، للقوات الأميركية. أما المطالب للتوصل الى حل سياسي، فمن المرجح أن تتصاعد. إلا أنّ إنسحاباً متسارعاً ما من دون إهتمام ومبالاة فيمكن أن يولد كارثة. فهو لن ينهِ الحرب، ولكنه سيحولها الى مناطق أخرى، مثل لبنان، الأردن أو العربية السعودية. كما ستشتد الحرب بين الفئات العراقية. أما إظهار وإثبات العجز الأميركي فسيشجع الإسلام الراديكالي ويجعل مؤيديه ومناصريه أكثر راديكالية، بدءاً من أندونيسيا والهند إنتهاءً بضواحي العواصم الأوروبية.

إننا نواجه عدداً من المظاهر المتناقضة المتعذر تفسيرها. فالإنتصار العسكري، بمعنى تأسيس حكومة قادرة على فرض أحكامها وأوامرها على كل مساحة العراق، هو أمر غير ممكن في إطار زمني تتحمله العملية السياسية الأميركية. وحتى الآن، ليس هناك من حل سياسي يمكن تصوره في الإنعزال عن الوضع على الأرض. فما تحتاج إليه أميركا والعالم ليس إنسحاباً أحادياً، وإنما رؤية من قِبَل الإدارة لنهاية سياسية مستدامة للصراع. فعمليات الإنسحاب يجب أن تخرج من حل سياسي وليس من الطريقة الأخرى الإلتفافية.

ليس هناك أي دولة من دول الجوار العراقي، ولا حتى إيران، في موقع يتيح لها الهيمنة فيه فيه على الوضع في مواجهة المعارضة لدى كل الأفرقاء المهتمين الآخرين. فهل من الممكن بناء نتيجة مستدامة على إعتبارات كهذه؟ إنّ الجواب على ذلك يجب أن يُبحَث على ثلاث مستويات: داخلياً، إقليمياً ودولياً.

كان الأفرقاء الداخليين– الشيعة، السنة والأكراد، عرضة لمغريات أميركية ملحاحة ومتكررة لتحقيق مصالحة وطنية إلا أنّ المجموعات التي كانت تدير عداوات دموية ضد بعضها البعض على مدى قرون، تناضل في مجهود، لا يدعو للعجب، لتسوية خلافاتهم بالوسائل الدستورية. إنهم بحاجة الى دعامة عملية ديبلوماسية بإمكانها أن توفر دعماً دولياً لتنفيذ أية إتفاقيات داخلية تم التوصل إليها أو لإحتواء صراعهم، إذا لم يتمكن الأفرقاء الداخليين من الإتفاق وإنقسم العراق. فالهدف الأميركي يجب أن يكون إتفاقية دولية بخصوص الوضع الدولي للعراق، فهذه الإتفاقية ستختبر ما إذا كان جيران العراق، وكذلك بعض البلدان الأبعد، مستعدة لترجمة مفاهيم عامة الى سياسات

متقاربة. وهي ستوفر إطار عمل قانوني وسياسي لمقاومة الإنتهاكات. هذه هي المعايير المعبرة وذات المضمون على عكس معايير إختبار الإنسحابات الأميركية.

أما لماذا يمكن لديبلوماسية كهذ أن تثبت بأنها عملية ومنطقية، معقولة، فلأن إستمرار أزمة العراق الحالية تمثل لكل الدول المجاورة للعراق مشاكل متراكمة ومتصاعدة. فكلما تفشت الحرب وطالت في العراق، كلما كان إنقسام البلاد الى فئات طائفية أمراً أكثر ترجيحاً.

وكانت تركيا قد شددت على أنها ستقاوم هكذا إنقسام بالقوة بسبب التأثير الراديكالي الذي يمكن أن يكون لدولة كردية ما على عدد السكان الأكراد الكبير في تركيا. لكن هذا سيقحم تركيا في صراع لا تريده مع الولايات المتّحدة ويفتح صندوق كل الشرور الإنسانية للتدخلات الأخرى. فالعربية السعودية والأردن تتوجسان خيفة من الهيمنة الشيعية على العراق، خاصة إذا ما هدد نظام بغداد بأن يصبح قمراً صناعياً لإيران. فمشيخات الخليج المختلفة، وأكبرها الكويت، تجد نفسها في موقف أكثر تهديداً حتى.

أما مواقف سوريا، فمن المرجح أن تكون أكثر تناقصاً وإزدواجية. فعلاقاتها مع إيران تمثل إدعاءً لمكانة كما تمثل تعرضها لإستهداف يلوح في الأفق. وبسبب ديبلوماسية أميركية حكيمة ومصممة، فقد تتوصل إيران الى إستنتاج بأنّ مخاطر الإضطراب المستمر تتجاوز في أهميتها الإغراءات الموجودة أمامها.

وقد يعتقد القادة الإيرانيون، بكل تأكيد، بأنّ الريح أصبحت خلفهم، أي أنّ اللحظة إيجابية ومفيدة، بشكل لا مثيل له، لفهم تصورات ألفية لإمبراطورية فارسية متجسدة من جديد، أو لعكس آية الإنشقاق الشيعي– السني بظل الهيمنة الشيعية. ومن جهة أخرى، وإذا ما كان هناك قادة حكماء – الأمر الذي لا يزال بحاجة للبت به– فقد يتوصلوا الى إستنتاج بأن من الأفضل لهم التعامل مع هذه المكاسب كقطع مساومة في تفاوضهم بدلاً من المخاطرة بها في منافسة حول الهيمنة على المنطقة.

ولن يقبل أي رئيس أميركي، في النهاية، بالوضع ما أن تصبح النتائج الكاملة للهيمنة الإيرانية في المنطقة ظاهرة. أما روسيا، فسيكون لها أسبابها الخاصة، بشكل رئيسي التخوف من راديكالية أقلياتها الإسلامية، لبدء مقاومة الهيمنة الإيرانية والإسلامية الراديكالية على الخليج. وهذا الأمر، مع الجدل الدولي الدائر حول برنامجها للأسلحة النووية، يمكن أن يجعل التحدي الإيراني يبدو بنظر قادته على أنه يشكل مخاطر مفرطة.

أما إذا ما توصلت، أو متى ما توصلت، إيران الى هذه الإستنتاجات، فإنّ هناك شرطان يجب أن يُلبيا: الأول، لا يمكن لأية ديبلوماسية جادة أن تبنى على أساس الطرح الذي يقول بأنّ الولايات المتّحدة هي المتوسلة. على أميركا وحلفائها أن يبرهنوا عن تصميمهم لتبرير وإثبات مصالحهم، الأمر الذي ستجده إيران شيئاً يمكن الوثوق به. ثانياً، ستكون الولايات المتّحدة بحاجة أن تقترح موقفاً ديبلوماسياً (خاضعاً للدراسة) يقر بالمصالح الأمنية المشروعة لإيران.

يجب البدء بمفاوضات كهذه من خلال منتدى متعدد الأطراف بشكل حقيقي. إن مفاوضات أميركية– إيرانية ثنائية دراماتيكية ستكبر وتضخم كل أوضاع عدم الأمان للمنطقة، لأنه إذا ما أصبح لبنان، الأردن، العربية السعودية والكويت– البلدان التي أوكلت أمنها، بشكل رئيس، الى الولايات المتّحدة وائتمنتها عليه– مقتنعين بانّ سيادة مشتركة إيرانية– أميركية ما بدأت تلوح في الأفق، فإنّ سباقاً لصالح طهران سوف يؤدي الى تفسخ وتحلل كل القرار.

ففي إطار عمل متعدد الأطراف، ستكون الولايات المتّحدة قادرة على إدارة محادثات منفردة مع المشاركين الأساسيين، كما حدث في منتدى الأفرقاء الستة حول كوريا الشمالية. إنّ منتدى ما لأجل مجهود كهذا موجود الآن في مؤتمر وزراء الخارجية الذين سبق وإلتقوا مؤخراً في شرم الشيخ. فمن مصلحة الولايات المتّحدة تحويل المؤتمر الى مشروع عمل تحت قيادة أميركية قوية، إذا كانت حكيمة. أما هدف منتدى كهذا، فيجب أن يكون تحديد الوضع الدولي للبيئة السياسية العراقية الناشئة في سلسلة من التعهدات المتبادلة والمشتركة. فالعراق سيستمر بالنشوء والتطور كدولة سيادية، لكن مع موافقته بوضع نفسه تحت بعض القيود الدولية مقابل ضمانات معينة ومحددة.

في مخطط كهذا، فإنّ قوة متعددة الجنسيات بقيادة الولايات المتّحدة، ستتحول تدريجياً الى عامل وأداة لذلك الترتيب طبقاً للتسوية البوسنية في البلقان. كل هذا يعرض الى مجهود دولي ثلاثي الطبقات: عملية تفاوض مكثفة بين الأفرقاء العراقيين؛ منتدى إقليمي على نسق مؤتمر شرم الشيخ لشرح وتفصيل الوضع الإنتقالي الدولي للعراق؛ مؤتمر أوسع لتثبيت حفظ السلام وأبعاد التأكيد الرسمي لهذه الحقيقة.أما باقي العالم، فلا يمكنه التظاهر، حتماً، بأنه يقف جانباً إزاء عملية يمكن أن تبتلعهم من خلال تقصيرهم.

فلا النظام الدولي ولا الرأي العام الأميركي سيقبل، كترتيب دائم، بمنطقة أميركية محوطة تقوم قوة عسكرية أميركية بالمحافظة عليها، حصرياً، في منطقة متفجرة للغاية. إنّ المفهوم المحدد هنا يسعى الى تأسيس إطار عمل دولي للعراق. إنه حصيلة ناشئة عن وضع سياسي وعسكري على الأرض، وليس من حدود زمنية مصطنعة.

"هنري كيسينجر" يرأس شركة "كيسنجر ومساعدوه" الإستشارية. هذه المقالة وزعها مكتب خدمات تريبيون الإعلامي.

Research Services Group
www.ipileb.com